

قال الله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ \* مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ \* أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
سورة أم القرآن

وتسمى سورة الحمد لله ، وفاتحة الكتاب ، والواقية ، والشافعية ، والسبع المثاني . وفيها عشرون فائدة ، سوى ما تقدم في اللغات من تفسير ألفاظها ، واختلف هل هي مكية أو مدنية ؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات إلا أن الشافعي يعد البسملة آية منها ، والمالكي يسقطها ويعد أنعمت عليهم آية (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي ، خلافا لأبي حنيفة وحجتهم ما قوله صلى الله عليه وآله وسلم للذي عليه الصلاة « اقرأ ما تيسر من القرآن » (الفائدة الثانية) اختلف هل أول الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد : أى قولوا الحمد لله ، أو هو ابتداء كلام الله ، ولا بد من إضمار القول في « إياك نعبد » وما بعده (الفائدة الثالثة) الحمد أعم من الشكر ؛ لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد ، لأن الحمد باللسان ، والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أن قولك (الحمد لله) يقتضى الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والوحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معاني أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضى شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى ، فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدة عقول الخلائق ، ويسكفبك أن الله جعلها أول كتابه وآخر دعوى أهل الجنة (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « التحدث بالنعيم شكر » والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من الله وحده ، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد ، واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى ، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ونعم دينية : كالإسلام ، والتقوى . ونعم أخروية : وهى جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير . والناس في الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم ، والشكر على ثلاث درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم ، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنعيم وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم<sup>(١)</sup> : الفقراء إذا منعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا . ومن فضيلة

(١) كذا بالأصل ، ولعل هنا سقط تقديره : « من أفضل الناس » قال ، فتدبر اه مصححه

الشكر أنه من صفات الحق ، ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله : الشاكر ، والشكور ، وقد فسرتهما في اللغة (الفائدة الخامسة) قولنا « الحمد لله رب العالمين » أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين : أحدهما ماخرجه النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة » والثاني : أن التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك « رب العالمين » وزادت بقولك الحمد لله ، وفيه من المعاني ماقدما ، وأما قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » فإنما ذك للتوحيد الذي يقتضيه ، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها ، وهذا المؤمن يقولها للطلب الثواب ، وأما من دخل في الإسلام فيتين عليه لا إله إلا الله (الفائدة السادسة) الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم ، ومعانيه أربعة : الإله ، والسيد ، والمالك ، والمصلح . وكلها في رب العالمين ؛ إلا أن الأرجح معنى الإله : لاختصاصه الله تعالى ، كما أن الأرجح في العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى ، فيعم جميع المخلوقات (الفائدة السابعة) ملك قراءة الجماعة بغير ألف من الملك ، وقرأ عاصم والكسائي بالالف والتقدير على هذا : مالك مجيء يوم الدين ، أو مالك الأمر يوم الدين ، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه . الأول : أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله ، وأما الملك فهو سيد الناس ، والثاني : قوله (وله الملك يوم يتفخ في الصور) والثالث : أنها لا تقتضي حذفاً ، والأخرى تقتضيه ؛ لأن تقديرها مالك الأمر ، أو مالك مجيء يوم الدين ، والحذف على خلاف الأصل . وأما قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع ، وأجرى الظرف مجرى المفعول به ، والمعنى على الظرفية : أي الملك في يوم الدين ، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين ، فيكون فيه حذف . وقد رويت الفراءتان في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرئ ملك بوجه كثيرة إلا أنها شاذة (الفائدة الثامنة) الرحمن ، الرحيم ، مالك : صفات ، فإن قيل : كيف جز مالك ومالك صفة للعرفة ، وإضافة اسم الفاعل غير محضة . فالجواب أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأما هذا فهو مستمر دائماً فإضافته محضة (الفائدة التاسعة) هو يوم القيامة ويصلح هنا في معاني الدين والحساب والجزاء والقهر ، ومنه إنا للمدينون (الفائدة العاشرة) إياك في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده ، وإنما قدم ليفيد الحصر فإن تقديم المعمولات يقتضي الحصر ، فاقضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، واقضى قوله « وإياك نستعين » اعترافاً بالعجز والفقر وأنا لا نستعين إلا بالله وحده (الفائدة الحادية عشرة) إياك نستعين : أي نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا ، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية ، وأن الحق بين ذلك (الفائدة الثانية عشرة) اهدنا : دعاء بالهدى . فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم ؟ فالجواب أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت ، أو الزيادة منه فإن الارتقاء في المقامات لانهاية له (الفائدة الثالثة عشرة) قدم الحمد والشأن على الدعاء لأن تلك السنة في الدعاء وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابة . وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأن رحمة الله تسبق غنمه ، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة ، ثم على الخطاب في إياك نعبد وما بعده ، وذلك يسمى الالتفات ، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه

فصار من أهل الحضور فناداه (الفائدة الخامسة عشرة) الصراط في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشى ثم استعير للطريق الذي يكون الإنسان عليها من الخير والشر ، ومعنى المستقيم القويم الذي لا عوج فيه ، فالصراط المستقيم الإسلام ، وقيل القرآن ، والمعنيان متقاربان ، لأن القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاي ، وقد قيل إنه قرئ بزاي خالصة ، والأصل فيه السين ، وإنما أبدلوا منها صاداً لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق ، وأما الزاي فلموافقة الطاء في الجهر (الفائدة السادسة عشرة) الذين أنعمت عليهم: قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون ، وقيل الصحابة ، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، والأول أرجح لعمومه ، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل ، ويبعد النعت لأن إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله ، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب : كقوله : وإذا مرضت فهو يشفين ، وعليهم أول في موضع نصب ، والثاني في موضع رفع (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود ، والضالين : النصاري ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقدروني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذلك عام في كل مغضوب عليه ، وكل ضال ، والأول أرجح لأربعة أوجه : روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجلالة قائله ، وذكر ولا في قوله ولا الضالين دليل على تغاير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن : كقوله فباؤا بغضب ، والضلال صفة النصاري لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقول الله فيه «قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله فكانها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدمة الأولى تعلم ذلك في الألوهية حاصلاً في قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة : في قوله مالك يوم الدين ، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي : في قوله إياك نعبد ، والشريعة كلها في قوله : الصراط المستقيم ، والأنبياء وغيرهم في قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

(خاتمة) أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذي فيها ، وقولك آمين اسم فعل معناه اللهم استجب ، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها أولاً يجوز تشديد الميم ، وليؤمن في الصلاة . المأموم والغد والإمام إذا أسر ، واختلفوا إذا جهر